

Signifier of personality and mechanisms of his work in the book The Prince - Paths of Iron Doors - by Wasini Al-Araj

KOUDRI Fahima¹ Pr. SAADA Hasna²

¹Faculty of Arabic Sciences and literature, Pre-service Teacher Training school, Sheikh Mubarak bin Mohammed Ibrahim Al-Maili Al-Jazaery, ENS Bouzereah (Algeria)

² Professor, Pre-service Teacher Training school, Sheikh Mubarak bin Mohammed Ibrahim Al-Maili Al-Jazaery, ENS Bouzereah (Algeria)

Received: 02/2023

Published: 02/2023

Abstract:

Semiotic studies dealt with the novelist character theorizing and applying as one of the most important pillars of the narrative word, this research reveals the semiotics of the character in the book The Prince - Paths of Iron Doors - by Wasini Al-Araj, which is an attempt to study the semantics of personality using what Philip Hamon concluded in his critical achievement, the research included an introduction that dealt with the definition of biography and its types (biography and heterosexual biography) with the mention of its founding pioneers, and then touches on the definition of personality in Western criticism and the stages of its development, and mentioned the most famous theorists from Vladimir Propp to Philip Hamon, and then the application of the findings of 'Philip Hamon' about the about the signifier of personality on the book of the prince, highlighting the following elements: the names of the characters (types, titles, qualities and symbolism) as well as pronouns and their connotations on the characters, the research concludes in its conclusion to the success of 'Wasini Al-Araj' in choosing the names of the characters of his work accurately to achieve his readability, and make them identical images of the characters in the real world, as well as his good employment of the third person and the first person, as he maintained the privacy of the heterosexual biography when employing the third person pronoun with his attempt to break the familiar and the tendency to renew by employing the first person pronoun.

Key words: Semiotics - the novel - the personality - the signifier and the signified - the Prince - Wasini Al-Araj.

دال الشخصية وآليات اشتغاله في كتاب الأمير - مسالك أبواب الحديد - لواسيني الأعرج

كودري فهيمة¹

أ.د. سعادة حسناء²

¹ قسم اللغة العربية وآدابها، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميللي الجزائري (الجزائر)

² قسم اللغة العربية وآدابها، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميللي الجزائري (الجزائر)

ملخص:

تناولت الدراسات السيميائية، الشخصية الروائية تنظيرا وتطبيقا باعتبارها أحد أهم دعائم الملفوظ السردي، ويكشف هذا البحث عن سيميائية الشخصية في كتاب الأمير - مسالك أبواب الحديد- لواسيني الأعرج، وهي محاولة لدراسة دلالات الشخصية بالاستعانة بما خلص إليه فيليب هامون في منجزه النقدي، وقد اشتمل البحث على مقدمة تناولت تعريف السيرة وأنواعها (الذاتة والغيرية) مع ذكر روادها المؤسسين، وبعد ذلك تطرق إلى تعريف الشخصية في النقد الغربي ومراحل تطورها، وذكر أشهر منظريها من فلاذيمير بروب إلى فيليب هامون، ثم التعرّيج إلى تطبيق ما توصل إليه "فيليب هامون" حول دال الشخصية على كتاب الأمير، ميرزا العناصر التالية: أسماء الشخصيات (أنواعها، ألقابها، صفاتها ورمزيتها) وكذا الضمائر ودلالاتها على الشخصيات.

ليخلص البحث في ختامه الى توفيق "واسيني الأعرج" في اختيار أسماء شخصيات عمله بدقة ليحقق له المقروئية، ويجعل منها صورا مطابقة للشخص في العالم الواقعي، وكذا حسن توظيفه لضميري الغائب والمتكلم، حيث حافظ على خصوصية السيرة الغيرية عند توظيف ضمير الغائب مع محاولته لكسر المألوف والميل للتجديد بتوظيف ضمير المتكلم.

الكلمات المفتاحية: الملفوظ السردي - السيميائية - دال الشخصية - السيرة الروائية - كتاب الأمير - واسيني الأعرج.

مقدمة :

تعد السيرة جنسا أدبيا عريقا، امتد وجوده عبر مختلف العصور الأدبية، وقد امتاز على الأجناس الأدبية النثرية بخصائص جعلته منفردا، والسيرة «نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والامتاع القصصي ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته»¹ وظهرت في التراث العربي مرتبطة بسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأشهر السير التي كتبت عن حياة النبي " صلى الله عليه وسلم"، سيرة "ابن إسحاق" وسيرة "ابن هشام".

انتقلت السيرة - بعد ذلك - من الدلالة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، إلى حياة غيره من الشخصيات الذين خلّدوا أسماءهم في التاريخ بفضل أعمالهم ومنجزاتهم، ومن هذه السير: سيرة "الظاهر بريس" و"ابن طولون" وسيرة "صلاح الدين الأيوبي" وكلها سير غيرية «تبحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، وتكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله»².

حققت السيرة الغيرية وجودا ثابتا في التراث الغربي، على نقيض السيرة الذاتية التي ظلت إشكالية وجودها من عدمه محل نقاش عدد من النقاد من بينهم: "عبد السلام مسدي" و"عبد العزيز شرف" بيد أنهم أجمعوا على مسألة المصطلح فهي حسبهم «لم تتخذ مصطلحا خاصا بها في الأدب العربي القديم كما لم تستقل الكتابات الذاتية بكتب خاصة بها قبل القرن الخامس الهجري»³.

تنوعت الكتابة عن الذات في الأدب العربي القديم بين الشعر والنثر، فالباحث فيه يجد هذا النوع من الكتابة مبنوئا في مختلف الكتب والدواوين.

يعتبر "عمارة اليميني" رائد السيرة الذاتية في الأدب العربي حسب "محمد عبد الغني حسن"، حيث تحدث "عمارة اليميني" (ت 527) «عن نفسه في كتابه "النكت العصرية في إخبار الوزراء المصرية" كما عبر عن تجربته السياسية»⁴. تحدث "عمارة اليميني" عن نفسه وعائلته ومراحل من حياته، غير أنه وقع في مشكلة تصنيف مؤلفه باعتبار أن مصطلح السيرة الذاتية لم يظهر بعد، وهذا ما جعله في حيرة من أمره فقال عن مؤلفه «هذا مجموع لم أقصد به شيئا مخصوصا ولافتا منصوصا، بل ذكرت فيه نبذا من الإخبار مختلفة المقاصد، متباينة المراد، ولم أورد فيه إلا ما أملاه الخاطر»⁵.

يعد "عمارة اليميني" أول من أسس لفن السيرة الذاتية في التراث العربي، بيد أنه لم يكن أول من خاض غمار الكتابة عن الذات حيث سبقه العديد من العلماء والدعاة والفلاسفة منهم: أبو حيان التوحيدي (ت114هـ)، ابن سينا(ت428هـ)، ابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، المؤيد (ت470هـ)، الغزالي(505هـ)، وابن لجوزي (ت597هـ)، وغيرهم كثير.

خطت السيرة - بعد ذلك - خطوات كبيرة في طريقها لإثبات وجودها في الأدب العربي خصوصا، بعد المثاقفة بين الغرب والشرق وتأثر هذا الأخير بالأجناس الأدبية الغربية وعلى رأسها السيرة الذاتية، فبعد سيطرة السير الغيرية على التراث العربي القديم، انتقلت هذه السيطرة للسيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، وأضحت الكتابة عن الذات مجالا خصبا، يتنافس الأدباء والعلماء على خوض غماره، ليسجلوا مراحل حياتهم بأنفسهم دون وسيط.

امتزجت السيرة بنوعها الذاتية والغيرية بأجناس أدبية مختلفة، لعل أبرزها الرواية فظهر بفضل هذا الامتزاج فنونا نثرية جديدة كالسيرة الروائية والرواية السردية.

الشخصية في النقد الغربي :

تعد الشخصية إحدى أهم دعائم الأعمال السردية عموماً والسيرة الروائية خصوصاً، لذلك عني بها النقاد والباحثون تنظيراً وتطبيقاً، فاجتهدوا في تعريفها وتعددت آراؤهم في ذلك فهي «العنصر الأدبي الذي يظهر ضمن عطاءات اللغة التي يغذيها الخيال للنهوض بالحدث وللتكفل بدور الصراع داخل اللعبة السردية العجيبة»⁶.
امتازت الشخصية في الفعل السردى التقليدي بالواقعية، حيث كانت تعامل «على أنها كائن حي له وجود فيزيقي»⁷ إلا إنها ابتعدت عن هذه الواقعية، لترسم عوالم متخيلة وتصبح بذلك «كائناً ورقياً»⁸ لا يفهم إلا في سياقه وداخل الملفوظ السردى الذي ينتمي إليه.
اهتم " فلاديمير بروب (Vladimir Propp) بالشخصية دراسة وتطبيقاً، غير أنه أولى عناية بالشكل على حساب المضمون.

كان تركيز "بروب" في تحليله للشخصية منصبا على الوظائف، حيث حددها بإحدى وثلاثين (31) وظيفة، ووضع لكل وظيفة مصطلحاً، ليختزلها - بعد ذلك - في سبع دوائر سماها دوائر الفعل (Les spheres d'action).
اشتغل "كلود بريمون" (Claude Bremond) بالشخصية على ضوء ما توصل إليه "بروب"، واستبدل مصطلح الشخصية بالفاعل السردى ورأى أن «المبدأ الأساسى الذي يتحكم في الوظائف هو مبدأ السببية ونظام التتابع الكرونولوجي»⁹.

تأثر "إتيان سوريو" (I.Saurion) بالمنجز النقدي "البروب" وحاول تطبيق النموذج الوظيفي على الأعمال المسرحية، واعتبر الشخصية فاعلاً يقوم بالفعل وحصر عملها في أدوار سردية محددة واختصرها في ست (6) وحدات سماها بالوظائف الدرامية.

استفاد "غريماس" (Greimas) من سابقه بقراءته لمحاولات كل من "بروب" و"سوريو" وأعد بناءً على أعمالهما نموذجاً العاملي، وتوصل إلى قوانين أكثر عملية عبر التحليل السطحي والتحليل العميق للنصوص، وبذلك أصبحت دراسته الأكثر انتشاراً في مقاربة الملفوظات السردية المعاصرة.

عرّف "غريماس" الشخصية أنها «جاءت نتاج نموذج العاملي فهي تقاطع العوامل والممثلين في نقطة الدور، ومن ثمة فإن غريماس يميز بين العوامل والممثلين»¹⁰.
أعتبر تمييز "غريماس" بين العوامل والممثلين نقطة التفرد التي بفضلها شاع منجزه النقدي، فجعل العوامل أشمل من الممثلين.

قسّم "غريماس" النصّ السردى - باعتبار أنه مجموعة أفعال تقوم بها مجموعة من الأشخاص - إلى ستة (6) عوامل هي:

- 1- الذات.
- 2- الموضوع.
- 3- المرسل.
- 4- المرسل إليه.
- 5- المساعد.
- 6- المعارض¹¹

امتازت الشخصية عند "فيليب هامون" (Ph.Hamon) بمخالفته للمقاربات التقليدية، وإثرائه لدراسات سابقه من السيميائيين واعتباره أن «مفهوم الشخصية مرتبط أساساً بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص»¹².
تقترب دراسة "هامون" للشخصية من اللسانيات وعلم الدلالة، ويظهر ذلك من تعريفه لها بأنها «مورفيم فارغ، أي بياض دلالي لا تحيل إلى بناء تقوم بإنجازه الذات المستهلكة للنص من القراءة، ويظهر هذا المورفيم الفارغ من خلال دال لا متواصل ويحيل على مدلول لا متواصل»¹³.

صنّف "هامون" الشخصيات إلى ثلاثة أصناف هي الشخصيات المرجعية (Personnages Référentielles) والشخصية الإشارية (Personnage Enrayent) والشخصية الاستذكارية (Personnages Naphorique).
دال الشخصية السيرية الروائية في "كتاب الأمير":

يختلف تعامل الساردين مع شخصيات أعمالهم السردية وكيفية رسم ملامحها، فنجدهم يقدمونها بشكل مباشر تارة ويميلون للغموض تارة أخرى وهذا ما جعلنا نبحت في كيفية تقديم شخصيات السيرة الروائية الموسومة بـ "كتاب الأمير -

مسالك أبواب الحديد- " للروائي الجزائري "واسيني الأعرج"، فكيف قدّم واسيني الأعرج شخصيات عمله؟ وماذا حملت أسماء الشخصيات من معاني ودلالات؟ ثم كيف تم توظيف الضمير للتعبير عنها؟
أسماء الشخصيات:

تتطابق أسماء الشخصيات في كتاب الأمير مع شخوص واقعية لها وجود فيزيقي، فهي تحيل لشخوص عاشت في هذا العالم، وهذا لكون العمل ينصوي في جنس السيرة الغيرية التي تكتب عن شخصية تركت بصمة خالدة في التاريخ، وكتاب الأمير هو سيرة غيرية روائية، تتحدث عن مراحل هامة من حياة الأمير عبد القادر الجزائري، فأسماء مثل: مصطفى بن التهامي، ديبوش، نابليون، ليون الروش، الشيخ محي الدين... كلها شخوص واقعية قبل أن تكون شخصيات ورقية. نجد - عند قراءة "كتاب الأمير" - أن ما نسبته 95 % من الأسماء موجودة في الواقع، في حين نعثر على ما نسبته 5% من الأسماء يصعب الجزم بوجودها من عدمه، مثل: جون مويي، الصياد المالطي... وذلك لكون العمل يمتزج فيه الواقع بالمتخيل.

يتبين لنا من معاينة حقل أسماء الشخصيات في "كتاب الأمير" أنها أدت وظائفها السردية، بغض النظر إذا كانت واقعية أو متخيلة لأننا (في هذه الدراسة) سنعاملها معاملة الشخصيات والعوامل والذوات لا معاملة الشخوص الواقعية. ساهم توزيع الأسماء على الشخصيات في تحديد جانب من جوانب هوية كل شخصية، فأعطى السارد لكل شخصية اسما يميزها عن غيرها، وبذلك أزال الغموض عنها «فأسماء الأعلام لها وظيفة واحدة هي اختزال المجهول إلى المعلوم»¹⁴. يذكر اسم العلم في العمل السردية، فيزيل غموض الشخصية ويقدمها ويزيد في بيان هويتها «ويلحق بالعلم عند النحاة الكنية»¹⁵ والنسب واسم الشهرة واللقب أيضا، وفيما يلي جدول يوضح توظيف اسم العلم وأنواعه في كتاب الأمير".

اسم الشهرة	النسب	اللقب	الكنية	اسم العلم
عبد القادر	/	السلطان (مولاي)	ابن محي الدين	الأمير
انطوان ديبوش	أبو المساكين	مونسينيور (الأب)	/	مونسينيور ديبوش أول قس في الجزائر المحتلة
فيليب العاشر	/	الرئيس	/	نابليون بونابرت (البرنس)
لامور سيير	بوهراوة	الثعلب	/	/
محمد بن عبد الرحمان	/	العقون	ابن مولاي عبد الرحمان	ولي العهد
ابن يحيى	/	الشیطان	/	ابن يحيى الشيطان

جدول يوضح توظيف اسم العلم وأنواعه في "كتاب الأمير"²⁵

رکز "واسيني الأعرج" على اللقب بشكل ملفت، حيث أتبع أسماء عمله السردية بألقابها، واستغنى عن ذكر الاسم بالنسبة لشخصيات عديدة منها ولي العهد المغربي (مولاي محمد بن عبد الرحمان) الذي لم يذكر بالاسم إلا مرتين، في حين ذكر لقبه (العقون) فيما يزيد عن عشر (10) مرات.

زواج السارد بين الاسم واللقب، وركز على الاسم أكثر عند حديثه على لامورسيير، الذي ذكر في العديد من المرات (13) مرة بالاسم واستعان بلقبه (بوهراوة) عند كلامه عن تتبع لامورسيير، للزمالة ورغبته في القضاء الكلي عليها، كما زواج بين اسم أحد قادة جيش الأمير وهو ابن يحيى ولقبه (الشیطان)، ودمج الاسم و اللقب ابن يحيى الشيطان، ليعبر عن دهاء القائد وسرعه في اقتحام خطوط الجيش المغربي.

قام السارد بالمزج بين الاسم واللقب تارة وبين الاسم واسم الشهرة تارة أخرى عند حديثه عن نابليون، في حين استعان فيما يقارب نسبة 96% باسم الشهرة بالنسبة لشخصية عبد القادر، فلا نكاد نعثر على اسم العلم واللقب إلا نادرا، وبذلك اكتسح اسم الشهرة (الأمير) متن العمل السردية.

تبقى دلالة الشخصية راسخة في ذهن القارئ من خلال اسمها، كونه يشير إليها دون غيرها «فعندما تصبح دلالة اسم العلم على شخص مخصوص قارة، تستمر هذه العلاقة في التحقق ويهدف الاسم للدلالة على المسمى بطريقة متواترة في مقام التكلم»¹⁶.

قد تتشابه الأسماء في الأعمال السردية، فيلجا السارد لإضافة كنية أو صفة لأحدها ليزيل اللبس عن الشخصية، وهذا ما قام به "واسيني الأعرج" لتفريق بين المحمدين الذين أوردتهم في عمله، فأطلق على هذا العقون (محمد بن عبد الرحمان) وعلى ذلك الصغير (محمد التيجاني) مقدم الزاوية التيجانية بمدينة عين ماضي، وهكذا وبشكل عام لا يعدّ تشابه الأسماء مشكلا في "كتاب الأمير" لقلته.

لا يقتصر التعامل مع أسماء الأعلام على مجرد كلمات وألفاظ بل يتعداه إلى مجموعة من المواقف والطباع، وهذا ما ينطق على مجموعة كبيرة من أسماء الشخصيات في "كتاب الأمير"، حيث أن «التأثير الذي يحدثه اسم العلم يأخذ قيمته من كونه يسير إلى مجموعة المواقف المرتبطة بهذا اللفظ وهذه المواقف تستدعي بمجرد ذكر اللفظ»¹⁷.

إذا أمعنا النظر في حقل الأسماء وتوزيعها في "كتاب الأمير" وجدناها خليطا من الأسماء العربية والأعجمية، حيث شكّلت الأسماء العربية نسبة 38% من مجموع الأسماء، في حين شكّلت الأسماء الأعجمية نسبة 62%، ومعظم الأسماء الأعجمية للفرنسيين من قادة الجيش، والحكام العاميين للجزائر، والرهبان والقساوسة، والجدول الموالي يرصد نماذج الأسماء العربية والأعجمية في كتاب الأمير.

الأسماء العربية	الأسماء الأعجمية
عبد القادر (الأمير) - مصطفى (بن التهامي) - فاطمة الزهراء (أم الأمير) - محي الدين (والد الأمير) - محمد بن إسماعيل - عبد الرحمان (ملك المغرب) - محمد بورويلة - عمر (ابن الروش) - الميلود بن عراش - حسن (النمساوي) - السعيد (أخ الأمير) - يوسف (الجنيرال) - سليمان (ابن ملك المغرب).	ديبوش أنطوان - جون مويي - نابليون بوناپرت - كلوزيل - بيجو-لامورسيير - ليون(روش) - تريزل - دوميشال - ليوناردو دفانثشي - دروي ديرلون - دوما - بليسي - اوجين دوما - بواسوني.

جدول الأسماء العربية والأعجمية في "كتاب الأمير"²⁵

جاءت أسماء الشخصيات الأعجمية لتميزها عن غيرها، ولتدل على جغرافيتها وصورتها التقريبية، وطبيعتها المستوحاة من ثقافتها، فشخصيات مثل: كلوزيل، بيجو، تريزل، نابليون، أوجين دوما، تحيل مباشرة إلى صور نمطية لشخصيات فوقاوية تمتاز ببشرتها البيضاء وعيونها الزرقاء «فكل اسم له مرجعية مكانية - زمانية»¹⁸ في حين تحيل الأسماء العربية إلى صفات مختلفة عن الشخصيات الأعجمية من حيث لون البشرة، ولون العيون، والطباع والسمات. نجد ضمن شخصيات "كتاب الأمير" شخصية مميزة بازواجية في الاسم (عربي وأعجمي) ونقصد بها شخصية ليون روش الذي اتخذ اسما عربيا عمر ابن الروش عند إسلامه (تظاهره بالإسلام)، وانضمامه لجيش الأمير، ليعود إلى اسمه الأعجمي بعد تنفيذ مهامه، بتخريب البنى التحتية العسكرية الأميرية في معسكر وتاكدامت والحيلولة دون تطورها وفعاليتها.

اختار السارد "واسيني الأعرج" أسماء شخصيات عمله الموسوم بـ "كتاب الأمير - مسالك أبواب الحديد -" بدقة ليحقق له المقروئية، ويجعل من شخصيات عمله صورة مطابقة للشخوص في العالم الواقعي، والجدول الموالي يرصد أهم أسماء الشخصيات بتنوعها وتباينها.

الألقاب المهنية	الألقاب القرابة
الأمير - القس - الصياد - سائق العرب - الخادم - القاضي - الملك - الجنيرال - الكولونيل.	أم الأمير (الزهراء) - أبو الأمير (محي الدين) - زوجته (ميمونة) - أبناؤه - أعمامه - إخوته - مصطفى والسعيد - صهره (مصطفى بن التهامي) - ابن سالم.

النسبة إلى الوطن	قرانزوني (قس ايطالي)- عبد الله العصبوني (سوري)- حسن (النمساوي) - مولاي عبد الرحمان (مغربي) - الحاكم العام (الفرنسي).
النسبة إلى الديانة	الأب سوشي (نصراني) - القس بافي (نصراني) - ليون روش (يهودي) - ابن دوران (يهودي).
صفات وعاهات	أبو رقية (القول الأعمى)- مولاي محمد (العقون)- محمد الصغير (مقدم الزاوية التيجانية) - حارس مقام لالا مغنية (الرجل الأحذب).

جدول لأهم الألقاب والأسماء لشخصيات "كتاب الأمير"²⁵

سجّلت ألقاب القرابة تواجدا معتبرا في "كتاب الأمير"، فالإنسان لا يوجد من العدم، ولذلك نجد أن الأمير عاش في كنف عائلته الصغيرة والكبيرة، فكان بديهيا أن نجد ألقاب القرابة (أب، أم، أخ، عم، صهر) ماثورة في متن العمل، فيذكر السارد تارة الاسم وصلته بالأمير وأخرى يركّز على الصلة على حساب الاسم، فاهتم بالأسماء أكثر من الصلة عند حديثه على كثير من الشخصيات مثل: مصطفى بن التهامي، محي الدين، الزهراء، السعيد، مصطفى، وكلها شخصيات فاعلة في العمل، أما الشخصيات المساعدة أو الثانوية فعمد إلى ذكر صلتها فقط دون الاسم مثل (أعمامه، زوجاته، أبنائه). اعتمد السارد على الألقاب المهنية بشكل ملفت في العمل، وركّز على الألقاب العسكرية أكثر، خصوصا عند حديثه عن قادة الحملات العسكرية الفرنسية ضد الأمير ومن هذه الألقاب نذكر (الجنيرال، الكولونيل، سارجان، الكابتن، الماريشال، البريقادير).

لم يخل العمل من الحديث عن الأديان ونسبة الشخصيات إلى ديانتهم، حيث عمد السارد المرور على الشخصيات اليهودية دون أي تعليق سواء بالإيجاب أو السلب، فقد اكتفى بذكر انتمائهم لليهود دون تعليق مباشر، خصوصا عند حديثه عن "ابن دوران"، في حين أشار إلى ديانة "ليون روش" (اليهودية) عند حديثه عن خيانة هذا الأخير للأمير، وكأنه به يقول ضمنا وماذا يتوقع من اليهود غير الغدر والخيانة، ونجد أنه ركّز اهتمامه على الديانة النصرانية وحاول تمرير نظرية التعايش بين المسلمين والنصارى، وأول ما يدلّ على ذلك اعتماده على شخصية ديبوش التي تعتبر الذات الثانية في العمل من حيث الأهمية، في مقابل شخصية الأمير التي تعتبر الذات الأولى، وعمد إلى تسليط الضوء على سماحة ديبوش وصفاته المسالمة والمحبة للسلام، ولم يكتف به بل دعم حضور هذه الفكرة بتوظيف شخصيات نصرانية دينية أخرى مثل: الأب سوشي، مونسينيور بافي وغيرهم، كما اهتم السارد بصفات الشخصيات وبالعهات التي تميّزها، وذكر صفات تنتمي أغلبها للعهات مثل: الأعمى (أبو رقية) والأحذب (حارس مقام لالا مغنية) والعقون (مولاي محمد). لعبت الأسماء - بناء على ما سبق - دورا هاما في تقديم الشخصيات والتعريف بها في العمل السردى "كتاب الأمير".

الضمائر ودلالاتها على الشخصيات:

يعدّ حضور الضمير في السيرة الروائية وفي غيرها من الأشكال السردية ضرورة حتمية، ومن الضمائر التي شاع تداولها، ضمير المتكلم "أنا" والغائب "هو" ويعتبر هذا الأخير «الشكل السردى القديم الذي تجسده حكايات ألف ليلة و ليلة»¹⁹.

درج كتاب السير الغيرية على توظيف ضمير الغائب في كتاباتهم كونه أنسب الضمائر للحديث عن شخصية أخرى لا تتطابق مع شخصياتهم، فما مدى صحة هذه الفكرة في "كتاب الأمير" باعتباره يعدّ سيرة غيرية روائية؟

ضمير الغائب:

احتلّ ضمير الغائب مكانة مرموقة في السرد، فاعتبر «هذا الضمير سيّد الضمائر السردية الثلاث وأكثرها تداولاً بين السرد وأيسرها استقبالا لدى المتلقين»²⁰.

يغلب استعمال ضمير الغائب في السيرة الغيرية الروائية، ويرجع السبب في ذلك إلى تناولها لسيرة شخصية مخالفة لشخصية السارد، ومن ثمة يستحسن استعمال ضمير الغائب ليحقق العمل مصداقية ويمتاز بالموضوعية، إلا أن استعماله لا يقتصر على السير الغيرية بل يتعداه لعدة أجناس سردية، فشاع استعماله فيها وفرض سيطرته عليها، وترجع أسباب سيطرته حسب عبد المالك مرتاض إلى:

1- يعدّ وسيلة فعالة يخفي السارد وراءها ليمرّ من خلالها ما يشاء من الأفكار والأيدولوجيات.

- 2- يجتنب السارد السقوط في فخ الأنا.
- 3- يفصل ضمير الغائب زمن الحكاية عن زمن الكتابة.
- 4- يحمي السارد من وزر الكذب، كونه يجعله مجرد سارد لا علاقة له بالأحداث ولا بالأفكار ولا بالشخصيات.
- 5- يتيح للسارد التعريف بشخصياته دون مراوغة ولا مجاملة لكونه ليس واحدا منهم²¹.
- 6- استطاع -على ضوء ما سبق- ضمير الغائب أن يفرض وجوده في الأعمال السردية عموما والروائية خصوصا، وبتتبعنا لـ "كتاب الأمير" نجد أن نسبة تواجد هذا الضمير فاقت 70 %، ومن الأمثلة الدالة على وجود هذا الضمير (الغائب) في العمل ما يلي:

الصفحة	النموذج
ص 28	1- « منذ البارحة ومونسينيور يهين أقلامه وحبره مثل طفل صغير، لكي يكون حرفه واضحا وكلماته مسموعة، توقف قليلا عن الكتابة وفتح القصصات الصحفية لجريدة المونيتور التي يحتفظ بها بشكل مرضي خوفا من أن يضيع منه أي تفصيل من تفاصيلها...».
ص 287	2- «في الليلة نفسها اجتمع ابن دوران مع الأمير في خلوة خاصة، كان الصمت سيد الجلسة، شرب الأمير كأس الشاي الساخنة محدثا صوتا مستديما وهو يرشف لم يكن يبدو عليه القلق ظاهريا ولكنه كان مرتبكا بالفعل لأنه كان يعرف ماذا ينتظره...».
ص 525	3- «عندما دخل عليه، كان الأمير ما يزال يقلب صفحات كتابه بين يديه بشكل يكاد يكون عصيبا وآليا، لم يكن يقرأ ولكنه كان يرى شيئا آخر، حساسيته زادت مع الوقت، لم يعد يتحمل البرد ولا ثقل الجو...».

جدول نماذج استخدام ضمير الغائب في "كتاب الأمير"²⁵

سعى "واسيني الأعرج" لكسر رتابة السير الغيرية التقليدية، فكلف شخصيات عمله بالسرد في بعض المقاطع السردية، إلا أنه كان يعود في كل مرة للسرد بضمير الغائب، ليكسب العمل نوعا من الازدواجية في استخدام الضمائر «لأنه عندما يروي السارد كل شيء بصيغة الغائب يبدو كالمراقب غير المكترث، كأن الأمر لا يعنيه...»²².

ضمير المتكلم:

احتلّ ضمير المتكلم المرتبة الثانية - بعد ضمير الغائب- في الأشكال السردية توظيفا واستعمالا، وأصبح تداوله شائعا بين الكتاب والروائيين كونه يقرب العمل السرد من القارئ، ويجعل هذا الأخير يتفاعل مع شخصياته، ولذلك ميّز "جرار جنيت" Gerard Genette بين نوعين من الرواية «رواية لا يوجد الراوي في القصة التي يحكيها باعتباره أحد هذه الشخصيات، ورواية يوجد الراوي في القصة التي يحكيها باعتباره أحد هذه الشخصيات، والراوي في النوع الثاني هو بطل الرواية، والنجم الذي تدور حوله الأحداث»²³.

لعب ضمير المتكلم دورا هاما في "كتاب الأمير" حيث أسند إليه السارد مهمة السرد مكانه ليضفي حميمية على عمله، وليجعل القارئ يتفاعل مع أحداثه، فكلف بعض شخصيات العمل بالسرد بدلا منه، وجعلها نابضة بالحياة كشخصية جون موبي والأمير وديبوش، والجدول الموالي يرصد نماذج لمقاطع من العمل تدلّ على إعطاء هذه الشخصيات أدوارا متميزة من خلال السرد بلسانها لأحداث مهمة من العمل.

الصفحة	النموذج	السارد

193 ص	1-«طلب مني مونسينيور ديبوش أن أخضر له زهورات من مستخلص الحشائش هذه المرة، فقد زادت عليه الأم البطن والرقبة والرأس...».	جون موبي
231 ص	2-«جملتي التي أكررها دائما على مسمع مونسينيور ديبوش، كلما اعتذر لي عن شيء ما، فهي تأتي من القلب ولا سلطان لي عليها أبدا...».	
234 ص	3-«كان مونسينيور منهمكا ومرتبكا، بدت لي الصفرة التي علت وجهه غير عادية، كلما وصل إلى دار أخيه شعر بالراحة لكن هذه المرة شعرت بشيء ما كان يأكله من الداخل...».	
144 ص	1 «ابن دوران كان يتحرك باسمي ويستشيرني في الصغيرة والكبيرة، التهمة من هذه الناحية غير مبررة، وأتحمل مسؤولية كل ما حدث...».	الأمير عبد القادر
195 ص	2-«كنت صادقا فكرت في لحظة من اللحظات أن الوضعيات تغيرت ولم أعد قادرا على تسييرها، ربما كان غيري أفضل لها، عندما نحس بالضعف يستحسن أن تترك المسؤولية لمن هو أهل لها ثم أنني شعرت بالضعف أمام ما كان يحدث أمامي ويحاك ضدي من مكائد...».	
311 ص	1-«لم اعرف كيف أشكر عبد القادر، وطلبت منه أن أذهب معهم إلى وهران لكي أعود برفقتهم قال بابتسامته المعهودة بأن الحذر واجب، ربما كان يخشى بتنتقلي هذا واكتشافاتي، أن أخبر القوات الفرنسية...».	مونسينيور ديبوش
144 ص	2-«البارحة قضيت الليلة بكاملها أعصر دماغي ووثاقي عيئا ولم أجد جوابا مقنعا لقصة النسخة الخفية من معاهدة دوميشال، فهتمت من الوثائق التي بحوزتي، أن نسخة ثانية خبئت عن المسؤولين الفرنسيين...».	

جدول توظيف ضمير المتكلم في "كتاب الأمير"²⁵

أقحم السارد شخصية "جون موبي" في عمله بطريقة جيّدة، وأسند إليها سرد مقاطع سردية عديدة، وبذلك قام بإدخال "متكلم آخر داخل مناسبات معينة وبإمكان متكلم يتم ذكره مباشرة أن يصير ساردا..."²⁴ ، فجون موبي يعدّ وسيلة السارد للتخلص من رتابة الراوي التقليدي، اصطنعه ليعبر من خلاله على أحداث هامة في حياة الأمير مثل: عام الجراد - معاهدة دي ميشال - العثور على الزمالة - عبور الملوية، كما اختفى وراءه ليعبر بأريحية عن وجهة نظره في الكثير من القضايا. استعان واسيني الأعرج بنفس الضمير (المتكلم) لسبب آخر عند توظيفه لشخصية الأمير كسارد لبعض المقاطع، والسبب هنا يكمن في الكشف عن خبايا نفس الأمير، وقد عمد السارد إلى إيراد مقاطع كثيرة على لسان الأمير ليضفي مصداقية لعمله ويحدث تفاعلا بين شخصية الأمير والمتلقي (القارئ)، كما استعان بديبوش أيضا لسرد مقاطع من العمل لنفس السبب ونفس الغاية.

لم يقتصر استعمال السارد لضمير المفرد المتكلم (أنا) بل تعداه لضمير جماعة المتكلمين (نحن) .

خاتمة:

يخلص البحث لنتائج نجلها في علاقة جنس السيرة وامتداد وجوده إلى عصور أدبية متقدمة، حيث ظهر في بدايته مرتبطا بسيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ثم انتقل من الدلالة على حياته إلى حيوات غيره من الشخصيات، وكان للسيرة الغيرية زيادة في الظهور والاستقلالية بالمقارنة مع السيرة الذاتية، التي ظلت لعصور طويلة فرعا من فنون أدبية أخرى، ويرجع الفضل في ظهور مصطلح السيرة الذاتية إلى المثاقفة بين الغرب والشرق، وتأثر العرب بالأجناس الأدبية الغربية وعلى رأسها السيرة الذاتية، ومع امتزاج هذه الأجناس وضعف الحدود الفاصلة بينها، ظهرت فنون نثرية جديدة كالسيرة الروائية والرواية السيرية.

اهتم النقاد الغربيون بالشخصية عند دراستهم للأعمال السردية، فاجتهدوا في تعريفها وإبراز أهميتها، وتعزى أهم دراسة للشخصية عند الغرب لفيليب هامون الذي استفاد من سابقه (بروب، سوري، وبيريان وقريماس)، وطور مناهجهم ليصبح منهجه الأكثر دقة وشيوعا عند مقارنة الشخصية، وقد أشار فيه إلى أنها تعد مورفيما فارغا يمتليء تدريجيا بفعل القراءة، كما اعتبرها دالا لا متناهي يحيل إلى مدلول لا متناه.

وجدنا عند تطبيقنا لمقاربة فيليب هامون للشخصية في السيرة الروائية الغيرية لواسيني الأعرج المعنونة بكتاب الأميرمسالك أبواب الحديد- أن السارد وفق في توظيف الأسماء (الدوال) ونلمس ذلك من خلال أدائها لوظائفها السردية، حيث ساعد توزيع الأسماء على الشخصيات في تحديد جانب من جوانب هوية كل شخصية، كما لعبت الألقاب والكنية واسم الشهرة والألقاب المهنية وألقاب القرابة والصفات والعاهات دورا في إبراز جوانب أخرى ساهمت في التعريف بالشخصية والدلالة على طباعها وانتمائها.

يعد توظيف الضمانات ضرورة ملحة في الأعمال السردية، ولذلك درج السارد على الاهتمام بها، وقد لمسنا ذلك من خلال سعي واسيني الأعرج لإبرازها في عمله، ومحاولته الجمع بين ضميري الغائب والمتكلم، فوظف ضمير المتكلم لكسر رتابة السير الغيرية التقليدية مع المحافظة على ضمير الغائب، مما أكسب العمل نوعا من الازدواجية في استخدام الضمانات.

الإحالات:

- 1 - أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، ط 3، 1980، ص 547.
- 2 - حسين فوزي: التاريخ والسير ص 14، نقلا عن أحمد آل مريع: السيرة الذاتية مقارنة الحد والمفهوم، دار صامد للنشر، تونس، ط 3، 2010، ص 30.
- 3 - تهاني عبد الفتاح شاكرا: السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2002، ص 62.
- 4 - محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، دار المعارف، ط 3، دت، ص 24-25.
- 5 - عمارة اليميني: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، 1991، ص 5-6، نقلا عن تهاني عبد الفتاح شاكرا: السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 55.
- 6 - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد - دار الغرب للنشر والتوزيع، د ط، 1995، ص 110.
- 7 - المرجع نفسه، ص 111.
- 8 - بارت رولان: النقد البنيوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1988، ص 131.
- 9 - عمر غيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 2، 2008، ص 151.
- 10 - السعيد بوطاجين: الاستغلال العاملي، دار الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2000، ص 13.
- 11 - المرجع نفسه، ص 19.
- 12 - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي الغربي، بيروت، ط 1، 1990، ص 213.
- 13 - فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية تر: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كيليطو، كرم الله للنشر و التوزيع، د ط، دت، ص 08.
- 14 - فيصل الدراج: نظرية الرواية والرواية المعاصرة، المركز الثقافي الغربي، ط 2، 2000، ص 145.
- 15 - أحمد درويش: دراسة بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص 163.

- 16 - حكيم بناتي: الظاهرتية وفلسفة اللغة (تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية)، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط 2، 2013، ص 121.
- 17 - أحمد درويش: دراسة بين المعاصرة والتراث، ص 163.
- 18 - جون كوين: النظرية الشعرية - بناء لغة الشعر العليا - تر: أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2000، ص 311.
- 19 - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد - ص 82.
- 20 - المرجع نفسه، ص 153.
- 21 - نفسه، ص 154.
- 22 - ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 3، 1998، ص 64.
- 23 - إبراهيم السيد: نظرية الرواية - دراسة مناهج النقد الأدبي - دار ضياء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1998، ص 185.
- 24 - آن بانفلويد: الأسلوب ونحو الخطاب المباشر وغير المباشر، تر: بشير القمري، مجلة آفاق الدار البيضاء، ع 8، 1998، ص 147.
- 25 - واسيني الأعرج، كتاب الأمير - مسالك أبواب الحديد-، موفم للنشر- الجزائر، دت، 2018.